١٧

دلالة الألفاظ وترابطها

في شعر أبي دُلامة دراسة في ضوء نظرية التلقي

The meaning of words and their connection in the poetry of Abu Dalama, a study in light of reception theory

م.د. مروة فاضل حمد

First Author Name:Dr. Marwah fadhel hamad

جامعة الفلوجة– كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

/ University of Fallujah/

College of Islamic Sciencesthe

department of Arabic language

المستخلص

أنتقى هذا البحث دراسة دلالة الألفاظ وترابطها في شعر أبي دلامة، لأنها أبرز الأدوات الكاشفة عن التفاعل بين مبدع النص وبين قارئه؛ والذي يوصف بأنه الشريك الرئيسي لعملية الأبداع الأدبي، وذلك من خلال التعريف الموجز بالشاعر ونظرية التلقي والتي تركز على دور قارئ النص في تفسيره للنص، وتهدف الدراسة إلى فهم وتحليل تلقي القارئ لشعر أبي دُلامة من خلال تحليل تأثير دلالات الألفاظ وترابطها داخل النص على القراء، وأعتمد البحث على نظرية التلقي التي تذهب إلى أن النص لا يكتمل إلا بتفاعل القارئ معه، فيُمنح القارئ الدور الفاعل في تشكيل معنى النص.

مستخدمًا المنهج التحليلي على مجموعة من الأبيات الشعرية لأبي دُلامة، مع التركيز على دلالة الألفاظ وترابطها في البناء الشعري في شعره، فتتغير دلالة الألفاظ بتفاعل القارئ معها وطرح تأويلات متعددة للفظ الواحد.

وبناءً على ذلك فإنّ البحث سيتناول دراسة دلالة الألفاظ وترابطها في ضوء نظرية التلقي في نماذج من شعر أبي دلامة من خلال مطلبين يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتليها خاتمة تضمّنت أهم النتائج، والتي من أهمها:

– كشفت الدراسة أنّ الشاعر وظف ألفاظا ذات دلالات متعدِّدة، مما يتيح للقارئ مجالًا قرائيا متنوعًا للتأويل.

– جاءت الفاظه مرتبطة بالمعاني الدالة على السخرية والتهكم ليعكس الروح النقدية للمجتمع في عصره.

– يتميز شعر الشاعر أبي دُلامة بالترابط بين الألفاظ، وساهم هذا الترابط في إنتاج المعنى وتسهيل عملية القراءة أمام القارئ.

– كما توصل البحث أيضًا إلى أنّ امتلاك القارئ للثقافة المعرفية والتاريخية ومعرفته بحياة الشاعر وسيرته والأوضاع الاجتماعية والسياسية للعصر تسهم في توجيه دلالة الألفاظ وإنتاج المعنى فيكون لديه خلفية ثقافية تسهم في تفاعله مع النصوص بطرق مختلفة ومتعددة، فتتغير الدلالات بتفاعل القراء مع بنية النص ومدلولات الألفاظ مما يجعل شعر أبي دُلامة مادة غنية للتحليل والتأويل.

– شكلت المفردة اللغوية في ديوان الشاعر حقلا واسعا للدراسة، فكان للتعدد الدلالي للمفردة الدور في فهم النص وتذوقه لدى القارئ.

الكلمات المفتاحية : دلالة الألفاظ، نظرية التلقي، القارئ ، أبو دُلامة .

Abstract

This research chose to study the significance of words and their interconnectedness in Abu Dalama's poetry, because they are the most prominent tools revealing the interaction between the creator of the text and its reader. Which is described as the main partner in the process of literary creativity, through a brief definition of the poet and the theory of reception, which focuses on the role of the text reader in his interpretation of the text. The study aims to understand and analyze the reader's reception of Abu Dulama's poetry through analyzing the effect of the connotations of words and their interconnections within the text on the readers. Research on reception theory, which holds that a text is not complete unless the reader interacts with it, so the reader is given the active role in shaping the meaning of the text.

Using the analytical approach on a group of poetic verses by Abu Dulama, focusing on the significance of words and their interconnectedness in the poetic structure of his poetry, so the meaning of words changes as the reader interacts with them and proposes multiple interpretations of a single word.

Accordingly, the research will address the study of the meaning of words and their interconnectedness in light of the theory of reception in examples of Abu Dalama's poetry through two sections preceded by an introduction and a preface, followed by a conclusion that includes the most important results, the most important of which are:

The study revealed that the poet used words with multiple connotations, which allows the reader a diverse reading field for interpretation.

The word was associated with meanings indicating sarcasm and sarcasm to reflect the critical spirit of society in his time.

The poetry of the poet Abu Dulama is characterized by the interconnection between words, and this interconnection contributed to producing meaning and facilitating the reading process for the reader.

The research also concluded that the reader's possession of cognitive and historical culture and his knowledge of the poet's life and biography and the social and political conditions of the era contribute to directing the connotation of words and the production of meaning. Thus, he has a cultural background that contributes to his interaction with the texts in various and

multiple ways, so the connotations change with the readers' interaction with the structure of the text and the connotations of the words, which Abu Dulama's poetry makes it rich material for analysis and interpretation.

The linguistic vocabulary in the poet's poetry constituted a broad field of study, and the semantic multiplicity of the vocabulary played a role in the reader's understanding of the text and its appreciation for it.

Keywords: semantics of words, reception theory, reader, Abu Dulama.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد..

تناول هذا البحث شعر أبي دلامة الأسدي بالقراءة والتحليل وإنتاج للمعنى، في ضوء إحدى النظريات النقدية الحديثة والتي تفسح المجال القرائي للقراء، لإنتاج معانٍ متعددة للنص الواحد، إذ تشكل دراسة دلالة الألفاظ وترابطها في بنية النص الشعري مسارًا مثيراً للفهم العميق للبنية النصية وتأثير القارئ، إذ درس البحث شعر أبي دلامة في ضوء نظرية التلقي، يهدف البحث إلى الكشف عن كيفية استخدام الشاعر للألفاظ وترابط البنية لإيصال فكرة النص وإثارة تفاعل القارئ.

وقد أشتمل البحث على مطلبين بعد تمهيد تحدثنا فيه عن الشاعر والنظرية بإيجاز.

أما المطلب الأول فأختص بدراسة دلالة اللفظة المفردة والمركبة وعلاقتها بالقارئ.

وجاء المطلب الثاني لتناول أنتاج معنى النص؛ من خلال دور ثقافة ومعرفة القارئ ودور الأساليب الشكلية في أنتاج المعنى وتعدد القراءات.

وفي الختام توصلت الدراسة الى جملة من النتائج أثبتت في خاتمة البحث.

التمهيد :الشاعر وشاعريته في سطور– سيرته الذاتية :

كثيرا ما يعترض الباحثين عند ترجمتهم لشخصية تراثية وقوع اختلاف في أسم تلك الشخصية، لاختلاف كتب التراجم في توثيق اسم هذه الشخصية، وهذا ما وقع في ترجمة القدماء لأبي دلامة، فقد ذهب بعضهم إلى أنه زند بن الجون (بالنون) وقال بعضهم زيد (بالياء)، وقيل (زبد) بالباء، أو يشيرون إلى التسميتين وينصون على تسمية (زند).

وهذا الاختلاف هو محصلة لما وقع في أسم الشاعر من التصحيف ولا سيما أن التصحيف في اللغة العربية كان شائعا في بداية عهدها كانت بلا تنقيط، فضلا عن ندرة أسم زند، وشيوع أسم زيد عند العرب، وقد وردت تسميته بـ (زند) في قوله:

وذَاكَ حَقٌّ على زَندٍ وكَيفَ بهِ والحَقُّ في طَرَفٍ والعَينُ في طَرَفِ [١]

عرف بأبي دلامة، ويذهب جرجي زيدان إلى القول: بأنه سمي بأبي دلامة نسبة إلى ابنه، وقيل بسبب سواده أو نسبة الى جبل مطل على الحجون.

أما فيما يخص سنة ولادة أبي دلامة فلم تذكرها المصادر كما لم تذكر مكانها، وقد ولد الشاعر لأب كان عبدا لرجل من بني أسد اسمه قصاقص فأعتقه، وهو من الموالين لبني أسد وهذا الراجح في نسبه والذي أثبته أغلب العلماء، بينما ذهب البعض الى نسبته الى الكوفة والى بني أشجع والأزدي.

وقد نبغ الشاعر أبو دلامة في بداية أيام العباسيين وأن كان أدرك آخر بني أمية إلا أنه لم يكن له نباهة في أيامهم.

كان خليعا ماجنا، صاحب أدب ونظم ونوادر وحكايات ، وقيل : أنه صاحب فصاحة وبديهة يداخل مع الشعراء ويزاحمهم في جميع الفنون وينفرد في وصف الشراب والرياض [٢]، وقد ذكر ابن الجوزي ((أنه كان أسود عبدا حبشيا)) [٣] ، إذ كان ظريفا أو أظرف الظرفاء، لكنه كان رديء المذهب، وفاسد الدين، مضيعا للفروض، مرتكبا للمحارم، مجاهرا بذلك .

وتذهب معظم المصادر التي ترجمت للشاعر إلى القول بأنه توفي سنة (١٦١هـ) الموافقة لسنة (٧٨٧م) ، من دون ذكر مكان وفاته [٤] .

أما شعره فقد وصف بأنه يمتاز بالسلاسة والفصاحة والبعد عن التكلف والمبالغة وهذا ما فرضته طبيعة الشاعر التي تميل نحو الفكاهة والمداعبة، كما تعددت الأغراض والموضوعات الشعرية التي نظم فيها كالمجون والسيرورة والملاحة [٥] فهو الذي يزاحم الشعراء في كل الفنون، معظم شعره في المدح والهجاء والخمر،

جُمع شعره مفرقا من الكثير من المصادر التاريخية والأدبية؛ كالأغاني والعقد الفريد وغيرها ، ثم ظهر ديوانه سنة ١٩٨٥م بتحقيق الدكتور رشدي علي، ومن ثم تحقيق وشرح الدكتور إميل بديع يعقوب وهي النسخة المعتمدة في بحثنا .

نظرية القراءة والتلقي

مقدمة موجزة:

كان ظهور نظرية القراءة والتلقي بنسختها الأوربية في نهاية الستينيات وبداية السبعينات من القرن العشرين، وهي نظرية ولدت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، وقد تبلورت أسس هذه النظرية على يد (هانز روبرت ياوس و فولفانغ آيزر) وهما من كبار النقاد الألمان في المدرسة المذكورة، تُركّز هذه النظرية على تصحيح زوايا انحراف الفكر النقدي في دراسة النص الادبي وتعود به الى قيمته وعلاقة القارئ به [٦] .

يُنظر الى العمل الأدبي في ضوء هذه النظرية على أنه ناتج عن العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص، مع الحفاظ على أن لا يُلغى طرفا على حساب الطرف الآخر، بل الحرص على خلق التفاعل بين تشكيلات النص وبين رؤية قارئه .

فمعنى العمل الأدبي لا يتأسس – بحسب رأي آيزر– في النص وحده ولا في قارئه فحسب، بل هو نتاج التفاعل بين القارئ والنص، فيتولد عن هذا التفاعل تجربة قرائية جمالية يوظف فيها القارئ تقنيات النص وممارساته في التجول داخل بنية النص لتحدث التفاعل المنتج لمعنى النص.

فبنية النص بمعزل عن قارئه وردود فعله وتقبله أو رفضه للنص المقروء لا تنتج معنى مكتمل فنيا ويظل المعنى جامدا ولهذا السبب ((نبهت نظرية الفينومينولوجيا بإلحاح إلى أن دراسة العمل الأدبي؛ يجب أن تتم ليس فقط بالنص الفعلي بل كذلك وبنفس الدرجة بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص)) [٧].

ويؤكد ياوس أن أنتاج معنى العمل الأدبي وعملية انضاجه تبدأ في اللحظة التي يلتقي العمل بالجمهور فتتحقق وظيفته ويخرج الى الوجود الفعلي بفعل القراءة التفاعلية معه، وفهم القارئ من فعل القراءة الاستهلاكية ليست هي الوظيفة المنتجة للمعنى؛ بل تفاعله مع النص جدليا من خلال نسج علاقات مختلفة من طرح التساؤلات والإجابات، مع التركيز على أهمية الأحكام التي يتم اصدارها بفعل التلقي، وهذا ما يلفت النظر الى أهمية التعاقبية في الأدب انتاجا وقراءة [٨] .

وبذلك يكون العمل الأدبي محصّلة للعلاقة الجدلية والتفاعل النشط بين القارئ والنص، ونتيجة للتفاعل النشط بين المتلقين انفسهم من خلال معرفة كيف قرأ النص وطريقة تجسداته المتلاحقة عبر التاريخ ، فيفهم النص بالنظر الى تحققاته وتجسداته [٩]، وبهذا فإن تأريخ تاويلات العمل الأدبي عبارة عن تبادل تجارب، أو حوارات ، أو لعبة الأسئلة والأجوبة المتبادلة بين النص ومتلقيه أو بين المتلقي السابق والمتلقي اللاحق [١٠] .

والمقام لا يستلزم الإطالة في استعراض حيثيات نظرية القراءة والتلقي لكثرة الدراسات النقدية الحديثة والكتب والرسائل والأطاريح والمقالات التي تناولت هذا الجانب، والقائمة تطول في رصد هذه الدراسات لكثرتها وتنوعها، الأمر الذي يجعلنا نشرع في قراءة نماذج من شعر أبي دلامة من منظور نظرية التلقي، ومحاولة الولوج داخل بنية نصوصه وفهم تقاليد اللغة الخاصة ودلالة المفردات الحقيقية والمجازية، وما للنص من أثر مفتوح يحيا ويستمر من خلال تعدد القراءات، فالنص يبقى كسولا إن لم يكن للقارئ الدور في قراءته وانتاجه، بالتفاعل مع بنيته ومفرداته التي تعد الأساس في إحداث الجمالية الفنية المطلوبة؛ والعنصر المحقق للإثارة والانفعالات وتحفيز الأحاسيس القابعة في نفسية القارئ والوصول الى تأويلات راجعه الى التفاعل القرائي بين النص وقارئه ، لذا ستكون قراءة النص الشعري كنشاط مكثف وفعل متحرك ، نحاول فيه استكشاف النص وسبر أغواره عبر اتجاهين : الأول من النص الى القارئ؛ بنقل معنى البنى الصغرى والكبرى للقارئ والتفاعل معها.

والآخر من القارئ الى النص؛ عبر نقل قدراته ومعارفه اثناء عملية تحاور واستكشاف وتحريك الذخائر والاستراتيجيات النصية، التي يحملها جسد النص ويتمسك بها القارئ فتنير عملية القراءة عن طريق المخزون المعرفي عنده، ليتحقق عمل القراءة الفعلية المنتجة للمعنى والتي وصفها آيزر بقوله ((تفاعلا ديناميا بين النص والقارئ .. فالذخائر والاستراتيجيات النصية تقدم فقط إطارا يجب على القارئ أن يُرَّكب فيه موضوعا جماليا لنفسه)) [١١] ؛ لتكون هذه القراءة مساهمة في إبراز دور القارئ الذي عدّته نظرية (القراءة والتلقي) المنتج للمعنى والمساهم في تعدد قرائي مختلف للنص الواحد عبر قراءته الواعية التي تستطيع استنطاق النص وإظهار المعاني المحتملة له .

المطلب الأول : دلالة اللفظة المفردة والمركبة وعلاقتها بالقارئ:

إنَّ النص الأدبي مجموعة من الألفاظ المرتبة ترتيبا يعمل على أنتاج معنى إبداعي، وهذه الألفاظ أما أن تستخدم ضمن دلالتها اللغوية الموضوعة لها أساسا في اللغة، فتحمل معانٍ مباشرة وواضحة، أو تنحرف في الاستعمال عن الدلالة الأساسية فتكون في حيز المجاز، فيتطلب ذلك استيعابًا عميقًا للغة النص لتؤدي في البناء النصي الشعري دلالة تحمل على غير ما وضعت لها، وبذا تظهر للقارئ بمعنى وتسمح بالإحالة لمعنى آخر، فيركز القارئ على الألفاظ التي تصوغها الفنون البلاغية والتي تحمل ايحاءات ودلالات تنحرف عن مسار المعنى الظاهر الى الإشارة الى عناصر مستبعدة يُلَمح لها النص، فيتفاعل معها بشكل مختلف باختلاف نوع الألفاظ حيث يمكن للفظة أن تحفزه على التفكير والتأمل في دلالتها الإيحائية، كما في المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها.

وحيث يمكن للفظه المفردة أن تكون أكثر قوة تعبيرية، في حين تضيف اللفظة المركبة أبعادا إضافية وتركيزا وتعقيدا للمعنى، وعند هذه النقطة يبرز دور القارئ الفاعل في الكشف عن دلالة اللفظة، وتأويلها عن طريق تفاعله الواعي والعميق مع بنية النص ودلالة اللفظة الإيحائية، التي تحقق توسيعا قادرا على استيعاب معانٍ جديدة تخرج عن مسار المعاني الحقيقة.

وشاعرنا أعتنى عناية كبيرة بتوظيف مثل هذه الأساليب البيانية داخل بنائه النصي، فألفاظه تحمل دلالات ومعانٍ باطنية عديدة أتسمت بالعمق لها القدرة على الذهاب بالقارئ الى أبعد من المعنى السطحي الظاهر، مما يسمح بتعدد دلالي يؤدي الى تعدد قرائي لنصوصه، ومن ذلك قوله :

فإذَا ما عَطِشتَ فاشربْ ثلاثا مِنْ عَتيقٍ في الشَّمِّ كالتُّفاحِ [12]

فالشاعر هنا طرح صورة متعددة التأويلات إذ أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي أن الشاعر أراد تشبيه رائحة العتيق برائحة التفاح وأستعمل لفظة (الشم) لحصر المعنى، لكن الشاعر في صورته هذه أحدث فجوات وضعها أمام القارئ

فهي من التشبيهات التي تدفع اللفظة الى الاتجاه نحو تعدد المعاني والتأويلات، وتعدد الفجوات يؤدي إلى التداخل وهنا يبرز دور القارئ في التأويل فهل هذا (العتيق) صنع من التفاح فكانت رائحتهما متشابهة، أو بما كان الشبه هنا قارئ النص أمام مشهد صور فيه تشبيه العتيق بالتفاح فأحدث الفجوة أمام المتلقي للكشف والبحث عن الشبه بين التفاح والعتيق، فقد يتوصل القارئ إلى الدلالة التي أرادها الشاعر بوصف الشراب (الخمر) ورائحته أو يذهب الى أبعد من ذلك ليحدث تداخل بين الشيئين، ويخفي تحتهما دلالة اخرى، ومن تشبيهاته ايضا قوله :

إذا لَبِسَ العِمامةَ كانّ قِردًا وَخنْزيرًا إذَا نَزَعَ العِمامَة (١٣)

توظيف الشاعر للأسلوب البياني البليغ في هذا البيت يجعل الصورة فاعلة ومؤثره، فلا بد من فهم دلالات الالفاظ التي وظفت من قبل الشاعر، والغوص في مدلولاتها للوقوف على التوسع القرائي للنص من خلال ما تسمح به مدلولات الالفاظ من دلالات محتملة، فإذا فهم القارئ دلالة الالفاظ الظاهرة بأنه يشبه الموصوف بالقرد لكونه أكثر الحيوانات شبها للإنسان، وبالخنزير لما يتصف به من بشاعة الشكل وقبح الصوت وغيرها من الصفات، فهنا التشبيه يحمل دلالات تدل على السخرية والفكاهة، وربما تدل على ضعفه وحالته النفسية التي تسبب بها شكله ، فيبدو البيت مضحكا لمتلقيه لما فيه من مقدرة عالية في صياغة العبارة من لدن الشاعر لجعل شكله مبالغا في وصفه لبشاعته فقد تكون صورة ناطقة لما يختلج نفسه ووضعه .

أما إذا ذهب القارئ إلى تمكين الألفاظ من حمل دلالات أخرى غير الظاهرة؛ فيحمل لفظة (العمامة) دلالة ترمز الى الدين أو التدين، و(القرد) الى الخيانة، و (الخنزير) الى عدم الغيرة أو غيرها مما تحمل لفظة الخنزير من دلالات، فإن هذا الفهم يقوده الى انتاج معنى آخر للنص وفتح افاقه لتدور حول انتقاد الواقع الاجتماعي والسياسي وغيره.

واذا وظف القارئ معرفته بشخصية الشاعر المخادعة والتي كانت تحاول الوصول الى أهدافها، من خلال التملق للخلفاء، ولكنه في هذا النص على الرغم من توظيف السخرية ، يمكن القول بأنه سخريته في هذا النص من أساليب النقد الموجه للأفراد أو الجماعة ، فالألفاظ جرت في خدمة الصورة الشعرية وأدت الدور البارز في تكوينها فجعلتها تؤدي موقفا نقديا وقف القارئ من خلالها على المشهد الموصوف وما يحمل من دلالات معنوية ودلالية متعددة، ساعدته في ذلك معطيات النص التي مكنته من الانتقال من لفظة إلى لفظة أخرى أثناء تفاعله داخل البنية النصية، حتى أثارت في ذهنه وجهات نظر مختلفة ومتعددة عند توقفه على نقطة التقاطع ما بين دلالة اللفظة السابقة واللفظة اللاحقة لتنتج بذلك معنى قد يختلف أو يتشابه عن المعنى السابق الذي أنتجه القارئ من خلال الدلالة الظاهرة للألفاظ .

وهذه الطريقة التفاعلية ما بين النص والقارئ تتطلب المرونة في أفق انتظار القارئ، وتفاعله مع دلالات الألفاظ التي حملها النص، فمعرفته بالمحتوى الدلالي تمكنه من فك رموز النص [١٤] وربط دلالاته من خلال عملية الترقب والتذكر للمعاني السابقة واللاحقة .

وكما أن تشبيهات الشاعر أخذت دورها في بلورة معانٍ النص بحسب رؤية القارئ وتأويله لها فإن استعارته لعبت دوراً مميزاَ في خلق معانٍ أكثر تنوعا وتعددا وتعمقا في نصه الشعري، وينبثق تأويل اللفظة الاستعارية من التفاعل بين القارئ والنص، لأن الاستعارة من الأساليب التي تخرج اللفظة من المعنى الحرفي إلى معانٍ أوسع وأعمق، لأنها من المثيرات الأسلوبية التي تستفز القارئ وتدفعه للبحث عما وراء اللفظة من تأويلات يمكن أن يصل لها القارئ، مما يظهر قدرة الشاعر على تعبيره الإبداعي عندما يكسب المعنويات صفات إنسانية [١٥]ومن التوظيف الاستعاري قوله :

أَرَى الشَّهباءَ تَعجُنُ إذْ غَدَونَا بِرِجلَيها وَتَخْبزُ باليَمين [١٦]

شبه الشاعر في هذا البيت الشهباء (بغلته) وصوّر هيأتها، فشبه حركة رجليها بحركة من يعجن من جهة عدم الاستقرار واستمرار الحركة، فهي لا تثبت على الارض وتندفع الى الأمام كيد العاجن لا تثبت أثناء العجن بسبب ما في العجين من رخاوة وطراوة، ثم ينتقل الى حركة يديها فهي لا تقدم الى الأمام بل تنثني الى الخلف نحو بطنها؛ ليشبهها بحركة يد الذي يخبز حين يثنيها الى صدره ثم يضع أقراص العجين داخل التنور، مستعيراَ حركة العاجن لحركة الرجلين وحركة الخبز لليدين ، وهنا أسند الفعل المخصص للإنسان الى حركة الحيوان، وقد يفهم القارئ غير هذه الدلالة ويذهب بالألفاظ الى مدلول آخر، وذلك لأن توظيف الشاعر خلق دلالة تختلف عن الدلالة التي في ذهن القارئ من خلال الاستعمال المجازي للألفاظ، فادخل القارئ في دائرة الانزياح عما يألفه والتأرجح بين المجاز والحقيقة، فقد يذهب القارئ الى إن الشاعر أراد ذم بغلته، عبر تسميتها بالشهباء، وكذلك قوله مستعيرا لرسم الصورة:

ولا البرُّ والإحسَانُ والخَيرُ من أمري ووالله مالي نيّة في صلاته

لو أنّ ذُنُوبَ العَالمينَ على ظَهرِي وما ضَرّهُ واللهُ يَغفِرُ ذَنبَهُ [١٧]

تمثلت الاستعارة في (ذنوب العالمين على ظهري) فالذنوب لا تُحمل و لا تكن على الظهر، التوظيف اللفظي الاستعاري يمثل مفتاحًا مهمًا في فهم واستيعاب النص ويتيح للقارئ إنتاج دلالات متعددة، لأنه يلعب الدور البارز في تحفيز الخيال وإثارة القارئ، فيفهم المعنى الظاهر للألفاظ عدم التزام الشاعر بالدين والصلاة وهروبه من الفرائض بهذه الصورة وهذه الدلالة المباشرة للألفاظ ، ويمكن تأويله بأن الشاعر هنا يبدي استعدادًا لتحمل الذنوب على

الرغم من ثقلها ليرمز إلى القوة والصمود، ومن الممكن توجيه دلالة النص بأنه يوجه نقدا للمجتمع وكأنه يتحمل أعباء غيره، وغيرها من الدلالات التي يمكن للقارئ إنتاجها.

ولتوظيف الأسلوب الكنائي الدور في فسح المجال القرائي لقارئ النص، وذلك لمنح الألفاظ دلالات متعددة، إذ يعمد فيه مبدع النص الأدبي إلى أطلاق اللفظ ويراد به ما يستلزمه ذلك اللفظ مع وجود قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد [١٨]، فيولد هذا التوظيف عنصرا تحفيزيا في ذهن القارئ يعمل على تحريك الطاقة التأويلية لديه، فالشاعر يوظف لفظه أو عبارة ليبين القدرة التي يمتلكها في إظهار معنى واخفاء آخر ويكون لقارئ النص الخيار في التعامل مع المعنى الذي يظهره أو يتجاوزه، ومن كنايات الشاعر قوله :

أما أبُوكَ فعينُ الجُودِ نَعْرِفُهُ وأنتَ أشبَهُ خَلق الله بالجود [١٩]

فالشاعر في العبارة (عين الجود) يكني عن الممدوح للدلالة على العطاء والسخاء والكرم، وأن هذه الصفة في طبع المخاطب ليست بجديدة بل متوارثه، ويقابل الشاعر بين شطري البيت الشعري مما أضاف بروزًا للمعنى فأدت الكناية الدور في الجمع بين طرفي المقابلة، وربما تتوارى خلف الفاظه مدلولات ايحائية غير الظاهرة إذا ما رجع القارئ إلى البيت السابق والبيت اللاحق لهذا البيت، فيعمد الشاعر الى إقامة فجوة بين اللفظ ومدلوله الكنائي عن طريق تكثيفه الصوري لتحمل هذه المدلولات دلالات جديدة يفرزها النص.

المطلب الثاني : إنتاج معنى النص

لكل قارئ أدوات توجيه واستقبال تختلف بطبيعة الحال بين قارئ وآخر، فتجربة القراءة تتشكل وفق اجراءات يقوم بها القارئ على صورة تختلف عن غيره مما يعطي فرصة لإنتاج معنى النص على نحو مختلف عن غيره ، لأن القراءة عملية تحاور وتحريك واستكشاف للإنتاجية من خلال التفاعل بين قدرات القارئ ومعارفه من جهة وما في النص المقروء من أمكانيات من جهة اخرى، ولأن القارئ هو أبرز العناصر التي ترنو اليها جمالية التلقي؛ لأنه المنتج للمعنى والذي يسهم في تعدد واختلاف معنى النص الواحد وفقا لثقافته ولما يملك من قدرات وإمكانيات، ومن تلك القدرات تجوله داخل البنية النصية والتي تسمح له بتعديل أو توجيه القراءة، فيطبق وجهة النظر الجوالة [٢٠] للانتقال بين مستويات البنية ويتنقل القارئ وفق وسائل التماسك والانسجام بين عناصر البنية والتي يوظفها المبدع داخل بنائه النصي ، ومن هذه الوسائل أساليب الشرط والعطف وغيرها من الأدوات الشكلية، والتي تسهم في إقامة العلاقات بين مفردات النص وبالتالي تساعد القارئ في إنتاج المعنى، ومن ذلك قول أبي دلامة :

لوْ كَانَ يُقعُدُ فَوْقَ الشَّمسِ مِنْ كَرَمٍ قَومٌ لَقيلَ: اقعدُوا يا آلَ عبّاسِ

ثمّ ارتقُوا في شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمُ إلى السَّماءِ فأنتُمْ أكرَمُ النَّاس

وَقدمُوا القائمَ المنصُور رأسَكُمُ فالعَيْنُ و الأنفُ والأذْنان في الرَاسِ [٢١]

وظف الشاعر في هذه الأبيات وسائل وأدوات لغوية؛ من أجل تماسك النص وجعله يخضع لعملية بناء مترابطة ومنظمة، فالجملة تؤدي إلى جملة أخرى من خلال اتساق تركيبي، فافتتح البيت بجملة شرطية (لو كان يقعد فوق الشمس) مما أثار القارئ لترقب ما يأتي من الفاظ ، ووظف الشاعر أسلوب التعظيم والمبالغة والذي يؤدي إلى الانزياح عما هو واقعي وحقيقي، ليثير هذا الأسلوب في القارئ الترقب والتشوق لما سيأتي ، ومما يستفز القارئ ويثيره هو اختيار عبارة (يقعد فوق الشمس) فمن هو الذي يقعد فوق الشمس ؟ لماذا لم يوظف وصفا آخر؟ ما هي القدرات التي يحملها الذي وصفه الشاعر بهذه الطريقة من المبالغة؟ فالقصد قد يكون التعظيم أو على العكس من ذلك، فالقارئ يضع العديد من الاحتمالات المتوقعة في ذهنه، وغيرها المترقبة من النص بحسب ما يمنح له من توظيف الشاعر للبنية النصية، اثناء تحليله للنص ثم ينتقل القارئ الى وسيلة لغوية أخرى وهي النداء والذي يثير بدوره في القارئ الانتباه ، فيشده للتذكر والترقب في الوقت نفسه، وهو يمارس وسائله القرائية لتحليل النص وانتاج معناه، فوظف المجاز(الشمس) ليبين مكانة آل العباس وعلوهم، ثم يعمد الى أسلوب اخر وهو التكرار في البيت الثاني بذكره العلو والمكانة التي تجسدت بذكر الشمس في البيت الأول والثاني، ومما يثير القارئ في النص ايضا توظيف صيغة التفضيل (أكرم الناس) ليبين مكانتهم بين الناس ، وبين ما سبق وما سيأتي ما يزيد من أثارة القارئ وشده ومما يسهم في أنتاج معنى النص، ثم في البيت الثالث يعبر مجازًا عن الخلافة بتشبيهها بالرأس من الجسد، ويجعل العين والأذن والأنف تابعة للكل وهو الرأس، وقد يقصد الشاعر في ذلك ابناء ال عباس أو قد يقصد خصومهم ولا يغفل القارئ توظيف أسلوب العطف الذي يضفي على النص الترابط والمناسبة بين بنيات النص، ومن خلال الأساليب والأدوات الفنية التي يمتلكها النص والتي تسهم في أيصال المعنى وأشراك القارئ في فهم جزيئات النص وبنياته .

وبهذه الإشارات نلحظ أن القارئ يبني ارتباطات علائقية مسبقة عن طريق تسلسل المفردات والجمل وطريقة ارتباط بعضها بالبعض الآخر، تجعل للقارئ نقطة تقاطع بين استدعاء المفردات وتذكر أخرى وتجعل توتره مستمر داخل بنية النص اثناء فعل القراءة، لينتج مشاركة القارئ في انتاج المعنى عن طريق التداخل بين الترقب والتذكر وتنقل القارئ بينها دلالة وأخرى تبعا لمعطيات النص اللفظية وثقافة ومعرفة القارئ.

الخاتمة

في نهاية الدراسة توصلت الى:

- وفرة الدراسات حول نظرية القراءة والتلقي تبين مدى فاعلية تطبيق النظرية على الأدب العربي حديثه و قديمه، وهيكيلة قراءة النصوص في ضوء هذه النظرية، لأنها تترك المساحة الواسعة لدارسي النصوص وعلى اختلاف ثقافتهم وامكانياتهم لدراسة النصوص وتذوقها.
- جملة معطيات النص وما تحوي من علامات نصية تسهم في قراءة النص وتأويله كالصورة والرمز والتكرار.
- شكلت المفردة اللغوية في ديوان الشاعر حقلا واسعا للدراسة، فكان للتعدد الدلالي للمفردة الدور في فهم النص وتذوقه لدى القارئ.
- وظف ابو دلامة البنية المجازية في نصوصه بطريقة أدت الى منح القارئ امكانية التأويل والتعدد الدلالي للفظة الواحدة.
- جاءت الفاظه مرتبطة بالمعاني الدالة على السخرية والتهكم ليعكس الروح النقدية للمجتمع في عصره
- الأساليب الشكلية فسحت للقارئ الدور في تطبيق وجهة النظر الجوالة اثناء قراءته الفعالة مما يسهم في فسح المجال القرائي وإشراك القارئ في العملية الانتاجية لمعنى النص الأدبي.

المصادر

١. الأعلام، خير الدين بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢. الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر بيروت، ط ٢.
٣. البداية والنهاية، أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٧م.
٤. بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، محمد خليل الخلايلة، عالم الكتب الحديثة، ط١، ٢٠٠٤م، اربد– الأردن.
٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
٦. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. جمالية التلقي والتواصل الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٣٨، ١٩٨٦م.
٨. ديوان أبي دلامة، شرح وتحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
١٠. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) دار الحديث، للقاهرة، ١٤٢٣هـ.
١١. طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت ٢٩٦هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف القاهرة، ط٣.
١٢. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية بيروت، ط١, ١٤٤١هـ.
١٣. فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، فولفغانغ آيزر، ترجمة: د. حميد الحمداني، د. الجلالي الكدية، مكتبة المناهل فاس.
١٤. القراءة، فنسان جوف، تر: سعاد التريكي، مراجعة: جلال الغربي، محمود الهيمسي، المركز الوكني للترجمة، تونس، دار سيناترا، ٢٠١٥م.
١٥. قراءة النص وجماليات التلقي (بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة) محمود عباس عبد الواحد، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٦م.
١٦. الكناية والتعريض، أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) تحقيق وشرح ودراسة: د. عائشة حسين فريد، دار قباء، ١٩٩٨م.
١٧. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: أ.د. ف. كرنكو، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
١٨. معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٩. المقامات والتلقي (بحث في أنماط المتلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي) نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث– بيروت، ٢٠٠٠م.
٢١. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي (ت ٦٨١هـ) تحقيق: احسان عباس، دار صادر بيروت، ط ٤، ١٩٧١م.
٢٢. نظرية التلقي بين ياوس وآيزر ، د. عبد الناصر حسن محمد، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢م.

(١) الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني، ٣١٦/١٠.

(٢) ينظر : **الشعر والشعراء** ، أبن قتيبة الدينوري / ٧٦٤/٢. و**طبقات الشعراء**، ابن المعتز ٥٤- ٦٠. و **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي / ج٢٢٢/١. و**تاريخ بغداد** الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ج ٣٩٩/١.و**معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، ج١٣٢٧/٣. و**وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، ابن خلكان ج٣٢٠/٢. و**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي ، ج ٤١٦/١١-٤١٧.
وسير أعلام النبلاء، شمس الدين بن قايماز الذهبي ، ٣٧٤/٧.و**البداية والنهاية**، أبو الفداء الدمشقي ، ج ١٣/ ٤٩١. و **الأعلام** ، الزركلي الدمشقي ٤٩/٣.

(٣) وفيات الأعيان ، ج٢/ ٣٢٠

(٤) ينظر : الوافي بالوفيات، الصفدي ، ج ١٤٥/١٤

(٥) ينظر : **تاريخ الإسلام**، ٤١٦، **والبداية والنهاية** ج١٣٧/١٠، **والمؤتلف والمختلف** في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، الآمدي/ ص ١٦٧.

(٦) ينظر : قراءة النص وجماليات التلقي (بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة) محمود عباس عبد الواحد، ص١٧.

(٧) فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) ، فولفغانغ آيزر ، ص ١٢

(٨) ينظر : نظرية التلقي بين ياوس وآيزر/ د. عبد الناصر حسن محمد، ص ٢٥.

(٩) ينظر : المقامات والتلقي (بحث في أنماط المتلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي) نادر كاظم ، ص ٣٩.

(١٠) ينظر : جمالية التلقي والتواصل الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: سعيد علوش، ص ١٠٧.

(١١) فعل القراءة، آيزر، ص ٥٥

(12) ديوان أبي دلامة : ص ٤٣

(١٣) ديوان أبي دلامة : ١١٠

(١٤) ينظر: القراءة ، فنسان جوف، تر: سعاد التريكي، ص ١٠٢.

(١٥) ( ) ينظر : بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، محمد خليل الخلايلة، ص ١٤٥

(١٦) ديوان أبي دلامة: ١١٩

(١٧) ديوان أبي دلامة: ١٠٨

(١٨) ينظر : الكناية والتعريض، الثعالبي النيسابوري ، ص ٢١-٢٢

(١٩) ديوان أبي دلامة: ٥٩

(٢٠) ينظر : فعل القراءة ، آيزر، ص ٣٠

(٢١) ديوان أبي دلامة : ٧١